أبدأ بالطفولة وأقول جذري الماء

(تنويعات على ماء الاردن) .

أدونيس

I

حول أشياء تطلع كلمات لا تقال ، حول كلمات تصنع أشياء لا تجدي ،
أسكن بين الانقاض ، واهييء شكل الطوفان .

II

الجذع حزمة رصاص وكتفاه مقبرة : يقتلع نفسه من بيته ويزرعها في بيت آخر . يضع قدميه حيث تضع السنابل أهدابها ، وفيما تتفتح أزهار الارض ، يغلق السماء ويشحذ آلة الخراب . يقتل العصافير العائدة الى أعشاشها . يرفع بين الطفل والام ، البيت والاهل ، الماء والمصب ، سدودا من الرعب .
يلصق على أرض الوطن خريطة أخرى .

ثمة جدران تتهدم وتتناسل مآتم مآتم . ثمة حقول نسيت عادة البذار والحصاد . لم يبق لذاكرتها الا أن تحضن الجثث والرماد . وبين العمق الذي يكتنز الجذر ، والسطح الذي يحتضن الورق ، تهدر طبقاتها أنينا ولهبا .
والزمن حولها جرح مفتوح كالشمس ، والفضاء يصلب عرقا عرقا .

حربة تغوص في صدر فلاح : من هنا الحقول .
رصاصة ترصد رأس عامل : من هنا يومك وغدك .
ربما انتفض قرميد ينتظر صديقه ــ زغب السنونو . ربما هدرت صخرة تلبس بردة الصمت . ربما اشتعل ماء نذر نفسه ليطفيء الحرائق .
بطيئا بطيئا يشحذ آلة الخراب ،
سريعا سريعا يفتك ويلتهم .
يسور الضفاف والماء والنهر . الجذع حزمة رصاص وكتفاه مقبرة .

أبدأ بالكفن ، وأقول جذري الماء .